

تفسير ابن كثير

تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ

مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره ، وحجران في رجليه ، أمثال الحمص والعدس ، لا تصيب منهم أحدا إلا هلك ، وليس كلهم أصابت . وخرجوا هارين يتدرون الطريق ، ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق هذا . ونفيل على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز ، ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النعمة ، وجعل نفيل يقول : أين المفر ؟ والإله الطالب والأشرم المغلوب غير الغالبقال ابن إسحاق : وقال نفيل في ذلك أيضا : ألا حيت عنا يا ردينا نعمناكم مع الإصباح عيناردينة لو رأيت - ولا تربه لدى جنب المحصب - ما رأينا إذا لعذرتي وحمدت أمري ولم تأسي على ما فات بينا حمدت الله إذ أبصرت طيرا وخفت حجارة تلقى علينا فكل القوم يسأل عن نفيل كأن علي للحبشان دينا ! و ذكر الواقدي بأسانيده أنهم لما تعبوا لدخول الحرم وهيئوا الفيل ، جعلوا لا يصرفونه إلى جهة من سائر الجهات إلا ذهب [فيها] فإذا وجهوه إلى الحرم رضى وصاح . وجعل أبرهة يحمل على سائس الفيل وينهره ويضربه ، ليقهر الفيل على

دخول الحرم . وطال الفصل في ذلك . هذا وعبد المطلب وجماعة من أشرف مكة ،
منهم المطعم بن عدي وعمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ومسعود [بن عمرو] الثقفي
، على حراء ينظرون إلى ما الحبشة يصنعون ، وماذا يلقون من أمر الفيل ، وهو العجب
العجاب . فبينما هم كذلك ، إذ بعث الله عليهم طيرا أبابيل ، أي قطعاً قطعاً صفراً دون
الحمّام ، وأرجلها حمراء ، ومع كل طائر ثلاث أحجار ، وجاءت فحلقت عليهم ، وأرسلت
تلك الأحجار عليهم فهلكوا . وقال محمد بن كعب : جاءوا بفيلين فأما محمود فريض ،
وأما الآخر فشجع فحصب . وقال وهب بن منبه : كان معهم فيلة ، فأما محمود - وهو فيل
الملك - فريض ، ليقتدي به بقية الفيلة ، وكان فيها فيل تشجع فحصب ، فهربت بقية
الفيلة . وقال عطاء بن يسار ، وغيره : ليس كلهم أصابه العذاب في الساعة الراهنة ، بل
منهم من هلك سريعاً ، ومنهم من جعل يتساقط عضواً عضواً وهم هاربون ، وكان أبرهة
ممن يتساقط عضواً عضواً ، حتى مات ببلاد خثعم . قال ابن إسحاق : فخرجوا يتساقطون
بكل طريق ، ويهلكون على كل منهل ، وأصيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم
يسقط أنملة أنملة ، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع

صدره عن قلبه فيما يزعمون . و ذكر مقاتل بن سليمان : أن قريشا أصابوا مالا جزيلا من أسلابهم ، وما كان معهم ، وأن عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب ما ملأ حفرة . وقال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة : أنه حدث أن أول ما رؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما رؤي به مرائر الشجر الحرمل ، والحنظل والعشر ، ذلك العام . وهكذا روي عن عكرمة من طريق جيد . قال ابن إسحاق : فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كان فيما يعد به على قريش من نعمته عليهم وفضله ، ما رد عنهم من أمر الحبشة ، لبقاء أمرهم ومدتهم ، فقال : (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول) (لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) [سورة قريش] أي : لتلا غير شيئا من حالهم التي كانوا عليها ، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه . قال ابن هشام : الأبايل الجماعات ، ولم تتكلم العرب بواحدة . قال : وأما السجيل ، فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب : الشديد الصلب . قال : وذكر بعض المفسرين أنهما

كلمتان بالفارسية ، جعلتهما العرب كلمة واحدة ، وإنما هو سنج وجل يعني بالسنج :

الحجر ، والجل : الطين . يقول : الحجارة من هذين الجنسين : الحجر والطين . قال :

والعصف : ورق الزرع الذي لم يقضب ، واحده عصفه . انتهى ما ذكره . وقد قال حماد بن سلمة : عن عاصم ، عن زر عن عبد الله - وأبو سلمة بن عبد الرحمن - : (طيرا

أبايل) قال : الفرق . وقال ابن عباس والضحاك : أبايل يتبع بعضها بعضا . وقال الحسن البصري وقتادة : الأبايل : الكثيرة . وقال مجاهد : أبايل : شتى متتابعة مجتمعة . وقال ابن زيد : الأبايل : المختلفة ، تأتي من هاهنا ، ومن هاهنا ، أتتهم من كل مكان . وقال الكسائي : سمعت [النحويين يقولون : أبول مثل العجول . قال : وقد سمعت [بعض

النحويين يقول : واحد الأبايل : إيل . وقال ابن جرير : [حدثنا ابن المثنى [حدثني عبد الأعلى ، حدثني داود عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ; أنه قال في قوله : (وأرسل عليهم طيرا أبايل) هي : الأقطيع ، كالإبل المؤبلة . وحدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن ابن عباس : (وأرسل عليهم طيرا أبايل)

قال : لها خراطيم كخراطيم الطير ، وأكف كأكف الكلاب . وحدثنا يعقوب ، حدثنا

هشيم ، أخبرنا حصين عن عكرمة في قوله : (طيرا أبايل) قال : كانت طيرا خضرا
خرجت من البحر ، لها رءوس كءوس السباع .وحدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن مهدي ، عن
سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان عن عبيد بن عمير : (طيرا أبايل) قال : هي
طير سود بحرية ، في منقارها وأظفيرها الحجارة .وهذه أسانيد صحيحة .وقال سعيد بن
جبير : كانت طيرا خضرا لها مناقير صفر ، تختلف عليهم .وعن ابن عباس ومجاهد وعطاء
: كانت الطير الأبايل مثل التي يقال لها عنقاء مغرب . رواه عنهم ابن أبي حاتم .وقال
ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، حدثنا أبو
معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن عبيد بن عمير ، قال : لما أراد الله أن يهلك
أصحاب الفيل ، بعث عليهم طيرا أنشئت من البحر ، أمثال الخطاطيف . كل طير منها
تحمل ثلاثة أحجار مجزعة : حجرين في رجله وحجرا في منقاره . قال : فجاءت حتى
صفت على رءوسهم ، ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها ، فما يقع حجر على رأس
رجل إلا خرج من دبره ، ولا يقع على شيء من جسده إلا وخرج من الجانب الآخر .
وبعث الله ريحا شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعا .وقال السدي ، عن

عكرمة ، عن ابن عباس : (حجارة من سجيل) قال : طين في حجارة : " سنك - وكل
" وقد قدمنا بيان ذلك بما أغنى عن إعادته هاهنا .